

دواعي المعاصي والطاعات:

- المعاصي لها دواعي، ودواعي ثابتة يمكن للعبد أن يتغلب عليها، وأن يبتعد عنها، وأن ينجيه الله تعالى من شرورها، وهي النفس الأمّارة بالسوء.
- العبد إن ثبت في الميدان وجاهد نفسه فتنقلب إلى نفس مطمئنة، لا تحركه ولا تبعثه إلى العمل السيء، والأمر الآخر: سيئات العمل، فـ للعمل السيء سيئة أخرى أكبر منها، لذا كان يقول بعض التابعين في الكوفة: "إني لأعمل الطاعة طمعاً في أختها التي هي أكبر منها، وإني لأترك المعصية خوفاً من أختها التي هي أكبر منها".
- ولذا كان النبي ﷺ في المحافل العامة ، دائما يبدأ بقوله في خطبة الحاجة "ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا"، فسيئات العمل يمكن للعبد أن يَخلص منها، بأن يحمل على نفسه وأن يجاهدها، {وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ}.



من عبد غير الله فقد عبد الشيطان:

- غاية الشيطان أن يكون الناس معه، وأن يكون مآلهم مآله، وأن يكونوا في النار معه، ففي الحقيقة أن كل من عبد غير الله هو في حقيقة أمره إنما يعبد الشيطان الرجيم، {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا}.
- حقيقة أمر العابد الذي يعبد الإناث التي كان بعض العرب يعبدون الأصنام، وبعض الأصنام كاللاّت صنم أنثى، اسمه (اللاّت)، هم في حقيقة أمرهم يعبدون شيطاناً مريدا.
- الله في المحشر يقسم الناس كل يتبع ما كان يعبده، المنافقون يعلمون أن المؤمنين هم على حق، يبقوا مع المؤمنين، فلما يؤمرون بالسجود لا يستطيعون، تصبح ظهورهم طبقاً لا يستطيعون أن يسجدوا لله، والله يقول اذهبوا إلى من أمركم بهذا، اذهبوا وأنتم مع الشيطان.



من عبد غير الله فقد عبد الشيطان:

- يجب على كل مسلم أن يتخذ الشيطان عدواً له، الشيطان لا يقبل أن تبقى على حياد، إما أنك من حزبه، واما أنك تسير معه، واما أنك عدو له، فالله ﷻ يقول: {أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ}.
- ما عبد أحد من بني آدم كائناً من كان إلا وفي حقيقة الأمر أن هذه العبادة كانت للشيطان، والشياطين والإنس يستمتع بعضهم بعضاً، ولكلٍ غرض في هذه الطاعة، لماذا العبادة للشيطان؟:

- لأن الشيطان هو المسبب، وهو الذي زيّن عبادة غير الله، فالذي عبد الجن، أو عبد الأصنام، أو عبد النجوم، أو عبد الأشخاص، إنما عبد الشيطان.
- بعض الفرق كاليزيدية لها وجود وحضور من قديم، اليزيدية تعبد الشيطان، هم يقولون نحن أصالةً نعبد الشيطان، لو سألت أي يزيدي ما معبودك؟ من تعظم؟ قالوا نعبد الشيطان!، لأن الشيطان له شر، ونحن نتوقى شره بعبادته.

الاستعانة بالله على الشيطان والاعتصام بالعلم:

- أُعبد ربك لُذ بربك !، لذا شعار المسلم أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومعناها:
- "يا رب أنا أعوذ بحماك وألوذ بقواك على هذا الشيطان الرجيم".

- الشيطان له صور خفية، ومما يذكر ويؤثر، وذكر هذا غير واحد من أهل العلم عن العالم، العابد، الزاهد، القدوة (عبدالقادر الجيلاني) -رحمه الله- وذكره بخير الإمام ابن رجب في كتابه (الذيل على تاريخ الحنابلة) وبيّن أن الناس يكذبون عليه.
- جاءه الشيطان وهو في عبادة فقال لعبد القادر: "يا عبد القاد أسجد لي فقد رفعت عنك التكليف"، وهو عابد وعالم، لو كان عابداً غير عالم لوقعت المصيبة، ولعله ردد مع بعض من يردد هذه الأيام رفع عني بالتكليف.

الاستعانة بالله على الشيطان والاعتصام بالعلم:

- قال الشيطان للشيخ: "يا عبد القادر أسجد شكرا لله، أسجد فقد رفعت عنك التكليف، قال الشيخ عبد القادر: خسئت ، أنت الشيطان، لا يرُفع التكليف عن العبد حتى يموت، فقال له الشيطان: لقد نجوت بعلمك يا عبد القادر، فقال الشيخ عبد القادر: خسئت لقد نجوت بفضل الله ورحمته ولم أنجو بعلمي".

- أراد أن يوقعه، فالشيطان له طرق، وطرقه منها الظاهر، ومنها الباطن، وقد يأتيك على وجه نصيحة.
- مثل إخواننا، الله يغفر لنا ولهم ويعافي جميع المسلمين، "الموسوسين" الشيطان يعذبه بالوسوسة، ويأتيه بصورة ناصح، أنت ما صليت، أنت وضوءك صحيح !، أنت وضوءك غلط!، جاءني إمام مسجد يقول لي:" أدخل الحمام وقت صلاة الظهر، وأبقى فيه إلى وقت العصر ، وما استطعت أن أتوضأ، وأخرج لأصلي الظهر، أريد الحرص على الطهارة"، فهذا هو صنيع الشيطان.

الاستعانة بالله على الشيطان والاعتصام بالعلم:

- يقول الشيخ (محمد أمان الجامي):

- "كان لنا شيخ لما تأتي الصلاة يقول قوموا صلوا، فأنا أصلي في مكة، أذهب لمكة وأصلي في مكة، قال الشيخ: وكنا نصدق وكنا نعظم الشيخ، ونرى أن هذه كرامة عظيمة، قال فذهبت وتتلمذت عند الشيخ (عبدالرحمن السعدي) -رحمه الله، -صاحب التفسير، الإمام الكبير المبارك- يقول: فأخبرته قال: سبحان الله، أما انتبهتم أن وقت الصلاة عندكم هو غير وقت الصلاة في مكة"، المسألة واضحة، وقت الصلاة عندكم في إفريقيا غير وقت الصلاة في مكة، فالشياطين تلعب بالناس.

- ولما الشيخ يكذب مصيبه من المصائب، هذا الكذب على نفسه والكذب على دينه، والكذب على ربه، وبعض الناس يكذبون يقول: أنا رفع عني التكليف.



مبدأ كون الشرك أكبر الكبائر:

- لماذا الشرك أكبر الكبائر؟:

- لأن صاحبه عند التحقيق إنما هو يعبد الشيطان، وهذا هو سر أن الشرك هو أكبر الكبائر.
- فالشرك في حقيقة أمره باطل، ولم يقم على براهين، ولا على أدلة، ولا يوجد لصاحبه أدنى شبهة، وإنما هو قائم على شبهات ودعايات كاذبة، فلا شك أن مآله إلى اضمحلال، وإلى زوال، بخلاف التوحيد.
- التوحيد قائم على ما يوافق العقول الصحيحة، والفطر السليمة، وصاحبه يجد انشراحاً في صدره، ولذة، وطاعة، وعبادة، في التمسك بالله ، وفي سؤاله واللجوء إليه.



قبح الشرك ليس مستفاداً فقط من الشرع:

- قال: "وإنه ليس تحريمه وقبحه لمجرد النهي عنه فقط"، الشرك قليل، ولكن ليس قلته فقط لوجود النهي عنه، فالشرك يخالف الفطرة، ذلك أن المشرك وضع العبادة وصرفها إلى غير مستحقيها.
- العرب يقولون عندنا ثلاثة أشياء: (أمر، إلتماس، دعاء).

- أمر: من الأعلى للأدنى.
- إلتماس: من المساوي للمساوي، فالإنسان للإنسان التماس.
- دعاء: أن تقول: "رب اغفر لي"، دعاء وليس أمر والدعاء يكون من الأدنى للأعلى، أن تساوي الله وأن تصرف العبادة لغير الله هذا أمر قبيح في العقول، وأن تسوي الكمال من كل وجه بأسمائه وصفاته وأفعاله بالناقص من كل وجه، هذا ظلم، لذا الشرك ظلم عظيم وهو قبيح، لأن الشرك إنزال الأمور في غير منزلها.

أقسام الناس من جهة الاستعانة والعبادة:

- الناس من حيث {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أربعة أقسام:
- القسم الأول: من جمع بين العبادة والاستعانة، وهذا الصنف أسعد الناس.
- الثاني: أشقاهم وأتعسهم من ليس له نصيب من العبادة ولا الاستعانة.
- الصنف الثالث: من له عبادة وليس له استعانة، مثل طالب العلم المتحمس، ومررنا في هذه المراحل، أسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا.

- يُقبل الإنسان بكله وكلكله على العلم، يبدأ يطلب العلم بحماس، ولا يعرف الاستعانة بالله، ترى من العلم عبادة وفضل دون استعانة، ينشغل بطلب العلم أسبوع أسبوعين، شهر شهرين، ثم ينقطع.
- والسر والسبب أنه ما استعان بالله، ما أجمل العابد في جميع أنواع العبادة، ولا سيما في طلب العلم أن يبرأ من حوله ومن قوته وأن يلجأ إلى ربه.

- الصنف الرابع: عنده استعانة وليس عنده عبادة، فالثالث والرابع ناقصان، والأول فائز، والثاني هالك خاسر، الذي ليس عنده لا علم ولا استعانة.



أفضل أقسام الناس الجامع بين العبادة والاستعانة:

- أجلها وأفضلها أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم؛ ولهذا كان أفضل ما يسأل الرب تعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذى علمه النبي صلى الله عليه وسلّم لمعاذ بن جبل فقال :"يا معاذ، والله إني أحبك، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة :اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" ، فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى".



أنفع الدعاء طلب العون على مرضاته:

- أنفع الدعاء طلب للعون على مرضاته، وأسعد الخلق من حقق قول الله:{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

- إياك: تقديم المفعول على الفعل، وتقديم المفعول على الفعل يفيد الحصر، وذكرت لكم أن أسباب الهداية خمسة: (المحبة، والرجاء، والخوف، وأن لا تصرف العبادة إلا الله، وأن لا تستعين بعبادته إلا به).
- العابد لما يقبل على المسجد ويسمع المؤذن ينادي ويقول: "حي على الصلاة، حي على الفلاح" ماذا يقول؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، أنا ما جئت إلا بحولك، أنا ما جئت إلا بقوتك، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.



الفرق بين العلة الغائية والفاعلية:

- {إِيَّاكَ نَعۡبُدُ} هذه يسميها العلماء علّة غائية.
- {وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ} يسميها العلماء علّة فاعلية.

- العلّة الغائية هي التي يكون من أجلها فعل الشيء، فالله خلقنا لنعبده، {وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ}، وقدّم الله الجنّ على الإنس، لأن الجن خلقوا قبل الإنس.
- {وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِين} قالوا: هذه علّة فاعلية والعلّة الفاعلية التي لا يمكن للعبد أن يحصِّل الشيء إلا بها، فالعبادة علّة غائية، والاستعانة علّة فاعلية لا يمكن أن تحُصّل الغائية التي خلقك الله من أجلها إلا بها، من دونها لا يمكن أن تحقق هذه العلّة.

تعريف العبادة وشموليتها للاستعانة:

- العبادة: اسم جامع لكل ما يحب الله تعالى ويرضى من الأقوال والأفعال القلبية ، فهذه هي العبادة.
- والاستعانة بالله عليها، أن تستعين بالله، والاستعانة فيها توكل على الله، ومما ينبغي أن يذكر وأن ينبه عليه، أن الاستعانة هي جزء من العبادة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وهذا يسميه علماء العربية عطف الخاص على العام، فخص العابد الاستعانة وقصدها، لأن العبادة لا يمكن أن تتحقق إلا بها.
- والاستعانة جزء من العبادة، لكن الله علّمنا أن نقصدها بالسؤال لأنها هي المقصود الذي يتحقق من خلاله العبادة التي سميناها العلّة الفاعلية.

- ما من أحد في الكون إلا يستعين بالله، لكن من الخلق من يستعين بالله برزقه، وحياته وملذاته، وشهواته، ومنهم من يستعين بالله على عبادته، فعُلم أن الباقي مقدم على الزائد.
- قال بعض الصالحين: "لو كانت الدنيا من ذهب، والآخرة من خزف، والذهب فانٍ والخزف باقٍ لحُقَّ للعاقل أن يقدم الخزف الباقي على الذهب الفاني؛ فكيف لو كانت الآخرة من ذهب والدنيا من خزف!".



الاستعانة بالدعاء على العبادة:

- من أحب الأدعية إلى الله أن تستعين بالله على عبادته، لما يرى الله صدقك، وترفع يديك، وتتذلل له، تقول: "يا رب أنا ضعيف يا رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، وأنت صادق، فالله لا يخيبك، الله يؤيدك ويقويك ويعينك.
- المهم ألا تتكبر على أمر الله، وألا تغتر بنفسك، وألا تغتر بقوتك، وأن تستعين بالله.
- ولذا النبي ﷺ قال لمعاذ: "يا معاذ والله أني أحبك، - كفى فخراً لمعاذ أن يحبه رسول الله ﷺ -، فلا تدع أن تقول في دبر كل صلاة":
- اختلف أهل العلم في دبر الصلاة هل هو خارجها، أم هو في داخلها ؟

- والراجح أن الدبر من داخل الماهية وليس من خارجها، يعني بعد ما تتعوذ من الأشياء الأربعة: "اللهم أني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال" وقبل أن تسلم تقول: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، فدبر الشيء جزء منه.

الاستعانة بالله فيها براءة من العجب ورؤية النفس:

- لا ترى نفسك على الناس، ولا تعجب! لذا قال أئمة التحقيق: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}: فيه براءة من الرياء.
- {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}: فيه براءة من العُجب.

- بعض الناس يرى نفسه فوق الخلق، ويرى نفسه أنه وفِّق للطاعة لأنها منه، هذا مخذول وهذا لا يثبت على عبادته ولا طاعته.
- ذكر لنا النبي ﷺ قصة رجل رأى رجلاً يعصي، فقال: "إن الله لا يغفر له، فأوحى الله إلى نبي ذاك الزمان أن قل لفلان أن الله قد غفر له وأحبط عملك"، تصبح تقول فلان في النار، فلان لا يهديه الله، هذا تألى على الله، وأنت يا مسكين ما عبدت الله إلا بإعانته وبقوته، فاعرف قدرك، لا توزع الجنة والنار على الناس، اعرف قدرك واعلم مسكنتك، وقل يا رب اغفر لي، يا رب أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.



المُعرض عن العبادة والاستعانة وآثار ذلك عليه:

- "المعرضون عن عبادته والاستعانة به، فلا عبادة لهم ولا استعانة، بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته، والله يسأله من في السموات والأرض، ويسأله أولياؤه وأعداؤه، فيمد هؤلاء وهؤلاء.
- وأبغض خلقه إبليس، ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتّعه بها، ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زيادة في شقوته وبعده، وهكذا كل من سأله تعالى واستعان به على ما لم يكن عوناً له على طاعته، كان سؤاله مبعداً له عن الله؛ فليتدبر العاقل هذا، وليعلم أن إجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه، بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة".



المُـراد مـن الإعـراض عـن الاسـتعانة: الاستعانة على الدين:

- قال: "المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم، -أي فلا عبادة تليق ويستحقها الرب - ولا استعانة" ليس المراد نفي الاستعانة بالكلية، تأمل معي تتمة الكلام.
- قال: "ولا استعانة بل إن سأله تعالى أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته".

- فالمراد: ولا استعانة نافعةً لهم في دينهم، هو ما أراد نفي مطلق الاستعانة، وهذا الصنف له استعانة ولكن هذه الاستعانة محصورة في همِّه على الدنيا وحطامها وملذاتها وشهواتها، وله استعانة، لكن على الدنيا.

معنى: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر":

- قال النبي ﷺ : "الدنيا سجن المؤمن والدنيا جنة كافر" :

- لو سألنا سؤال "الدنيا سجن المؤمن" ألا يوجد مؤمنون منعمون، أصحاب جاه ومال وملذات وشهوات، وملك وما شابه؟، يوجد، ألا يوجد كفار بؤساء أصحاب بؤس وفقر ومرض؟ يوجد، كيف نفهم "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"؟ لو أخذنا أكثر الناس نعيماً من المؤمنين في هذه الحياة منذ أن خلقها الله إلى أن أفناها وانتبه ! لا يلزم أن يكون هؤلاء الأنبياء ولا يلزم أن يكون هؤلاء صلحاء، لأن معيار التفضيل ليست الدنيا، أخذنا أنعم إنسان من المؤمنين فغمسناه في النار غمسة واحدة، فسألناه هل رأيت نعيما قط؟ وهو أنعم الناس في الدنيا، قال: ما رأيت نعيماً قط.
- لو أخذنا أبأس الناس وأشد الناس بؤساً وحرماناً وفقراً ومرضاً، وغمسناه في الجنة غمسة واحدة، ثم سُئل هل رأيت بؤساً قط؟ قال: ما رأيت بؤساً قط، وهذا من معاني الدنيا "سجن المؤمن وجنة الكافر" المؤمن مهما كان متنعما في الدنيا، الدنيا سجن له {وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ}، أبقى للعبد.



من عجائب الدنيا مع المؤمن:

- الدنيا عجيبة، ومن عجب الدنيا:

- أنك إن أقبلت عليها فرت منك، وإن ابتعدت عنها جاءتك راغمة، والزاهد ليس الذي لا يملك الدنيا، الزاهد من كان حاله مع ربه هو هو، سواء كان غنياً أو كان فقيرا، فصدره فيه جنة الرضا عن الله فيما قدّر عليه، هذا هو السعيد فمن عامل الناس بكبر وعلو فهذا من طغيان المال، المال له طغيان ولا يكبح هذا الطغيان إلا الصلاح، وإلا أن تعرف حقيقة الدنيا وإلا أن تعرف حقيقة الرضا عن الله.

- قال: "والله يسأله من في السماوات والأرض"، {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}،الله كل لحظة يرفع أقواما ويسقط آخرين، يحيي أقواماً ويميت آخرين، يبسط الرزق لأقواماً ويقدر لآخرين، فكل يوم هو في شأن سبحانه.



من عجائب الدنيا مع المؤمن:

- كل الخلق يسألون الله، حتى الشياطين ،كما قال الله : {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}، الشيطان رسول لله، وفق سنته في قدره وفي كونه، كما أن الأنبياء رسل الله في شرعه وفي مشيئته التي يحبها ويرضاها، الشياطين رسل للكافرين.
- الشيطان رسول لله للكافرين في قدرته الكونية الشرعية، التي فصلنا وبينا الفرق، لا يوجد شيء في الكون بأكمله وكله وكلكله خارج عن قدرة الله.
- ينبغي للعبد شاء أم أبى إن كان عاقلاً، أن يعلم حقيقة فقره، وأن يعلم أنه لا غنية له عن ربه والاستعانة به على طاعته.



من عجائب الدنيا مع المؤمن:

- قال الله:{وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَة وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَة وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّار أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.
- الكافر يقول: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ} يريد الدنيا لم يقل حسنة.
- والمؤمن يقول: { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.
- لعل بعض الناس يحزن لأن الله ما هيأ له ليزني، يستعين بالله على الزنا، بعض الراقصات تقول: "أنا آكل من عرق جبيني"، فبعض الناس لا يفهم.
- وبعضهم يقول: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} حسنة: ارزقني مالاً، وارزقني جاهاً، ارزقني علماً، ارزقني فضلاً منك يا الله، يكون في عاقبة أمره حسنة، يكون معيناً لك على طاعتك، {وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.



وجه استجابة الله تعالى لإبليس:

- قال: " وأبغض خلقه إبليس، ومع هذا أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتّعه بها":
- استجابة الله لإبليس ليس عبودية، ليس لأنه سأل الله وتوسل إليه بالسؤال، وعبد الله، لا، وإنما استجابة الله لإبليس فرع من فروع الربوبية، سأله على أنه عبد واستجاب الله له، لأن الله سيد، قلنا في الدرس الأول في شرحنا قلنا الله الرب له أربعة معاني:
- الرب: (السيد، والرب المالك، والرب المربي، والرب المنعم، والمتصرف).
- وقلنا الربوبية في الملك والسيادة كل الخلق فيه سِيان، وفي التربية الله يربي المؤمن غير ما يربي سائر الخلق، الله يربي المؤمن تربية خاصة.
- إبليس قال: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ}، استجاب الله له واستجابته ليست من قول الله: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، إنما فرع من فروع الربوبية، فقال إبليس: {قال أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قال إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ}، أجاب سؤاله وقضى حاجته ومتعه بها، إبليس الآن له من العبّاد ما لا حصر له ولا عد.
- أنواع وألوان العبادة التي تصرف كلها بلا استثناء التي تصرف لغير الله إنما هي في حقيقتها تصرف إلى الشيطان، فالشيطان صاحب مملكة كبيرة في الدنيا، وله أتباع وله عز، لو أن الله ما استجاب له لكان خيراً له.

منع الله عبده من سؤاله قد يكون لحبه له:

- هـذه مسـألة لهـا أثـر فـي مسـلكياتك ، في طاعتـك وعبادتـك وإقبالـك عـلى ربـك، إن سـألت ربـك حاجـة فمنعهـا الله عنـك، فمنـع الله لها عنك ليس لأنه لا يحبك، بل قد يكون منعه سبحانه إياها لك لأنه يحبك، يحبك أن تتضـرع إليـه وأن تسـأله وأن تـرفع يـديك إليـه وأن تلـح فـي السـؤال، وقـد قـالوا قـديماً: "مـن أكثـر القـرع دخـل" مـن بقـي عـلى بـاب البيـت ويقرع ولا ينتهي عن القرع أخيرا يدخل.

- إبـليس لـو أن الله مـا اسـتجاب لـه لكـان شـره ووبالـه أقـل ممـا وصـل إليـه، قـال: "هكـذا كـل من سأله تعالى به على ما لم يكن عوناً له على طاعته كان سؤاله مبعداً له عن الله".

منع الله عبده من سؤاله قد يكون لحبه له:

- معنى الاستجابة ثلاثة أشياء:
- الشيء الأول: يعطيك ما تريد.
- الشيء الثاني: أن يصرف عنك من الشر بمقدار ما دعوت من خير.
- الثالث: هذه عبادة يثقل به موازين العبد يوم القيامة فلا تقل أنا دعوت ولم يستجاب لي، والنبي يخبرنا أن الله يستجيب للعبد، "إن الله يستجيب للعبد ما لم يقل إني دعوت ولم يستجب لي"، إذا قلت أنا دعوت والله ما استجاب لي، الله لا يستجيب لك.

منع الله عبده من سؤاله قد يكون لحبه له:

- {اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} ما معنى يقدر؟ يمنع.
- معنى قول الله ليونس : {فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ} أي: لن يضيق عليه، ومن ظن أن الله لن يقدر عليه من القدرة هذا كفر، ويونس منزه عن هذا، فظن يونس أن الله لن يضيق عليه لما ابتلعه الحوت، هذا معنى يقدر: يضيق، تقدير من التضييق.
- وقلت لكم في هذا الدرس الكفار قائم في عقولهم أن الله أعطاني يعني أن الله يحبني، ولذا يقولون وهذا من الشيطان كما أخبر الله عنهم في القرآن: {وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}.



ترك المأمور أشد من فعل المحذور:

- ما الذي جعل إبليس كافراً ؟:

- الخوارج قالوا: لأنه فعل معصية، وفعل كبيرة، هذا ليس بصحيح، لأن آدم استجاب أيضا، الله أمر ونهى، نهى آدم عن الأكل، وأمر إبليس أن يسجد، هنا انتبه!:
- قال أهل العلم: "ترك المأمور أشد من فعل المحذور"، لأن عاقبة من ترك المأمور -إبليس- كانت جهنم خالداً مخلداً فيها، ومرتكب المحذور عاقبته التوبة والإنابة، وهو آدم، لذا قالوا فيها العلماء وألف فيها شيخ الإسلام وبرهن على أن ترك المأمور مقدم على فعل المحذور من (خمسة وثلاثين) وجهاً، وللآن هذه الرسالة لم تطبع، فترك المأمور أشد من فعل المحذور.



من كان له نوع عبادة بلا استعانة:

- من له نوع عبادة بلا استعانة، وهؤلاء نوعان:
- أحدهما: أهل القدر القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل، فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها، وتعريف الطريق وإرسال الرسول، وتمكينه من الفعل، فلم يبق بعدها إعانة مقدورة يسأله إياها، وهؤلاء مخذولون موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد، قال ابن عباس رضى الله عنهما: "الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده.
- النوع الثاني: من لهم عبادة وأوراد، ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة، لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وأنها بدون المقدور كالموات الذى لا تأثير له، بل كالعدم الذى لا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول على المحرك الأول، فلم تنفذ بصائرهم من السبب إلى المسبِّب، ومن الآلة إلى الفاعل، فقلّ نصيبهم من الاستعانة، وهؤلاء لهم نصيب من التصرف بحسب استعانتهم وتوكلهم، ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم، ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه لأزاله.

- فإن قيل :ما حقيقة الاستعانة عملا؟ قلنا: هى التي يعبر عنها بالتوكل، وهى حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فتوجب اعتماداً عليه وتفويضاً إليه وثقة به.



قول المعتزلة في أفعال العباد ينافي الاستعانة:

- قال أهل القدر المعتزلة، الذين يعتقدون أنهم يخلقون أفعالهم:

- وأن لطف الله بعباده، محمول على أن الله خلق لك عقلاً وسمعاً وبصراً، وأرسل رسلاً، وأنزل كتباً ومكنك من الفعل، وليس لله إعانة لك على هذا القول، فأنت تخلق أفعالك، والعباد هم الذين يخلقون أفعالهم فنشأ عندهم بهذا السبب ضلال. في حقيقة أمره أنه راجع إلى أنهم ما قدروا الله حق قدره كما ذكرنا، فهذا الصنف لهذا المعتقد الفاسد لا تتوجه قلوبهم إلى ربهم في أن يستعينوا به، لكنهم يعرفون أن الله هو الذي يستحق العبادة، فهم يعبدون الله لكنهم لا يستعينون به، لماذا لا يستعينون به؟ لأنهم يعتقدون أنهم يخلقون أفعالهم، فمن اعتقد أنه يخلق فعله والله ليس له صلة بهذا الفعل، فكيف يستعين به؟!

مراتب الإيمان بالقدر:

- الإيمان بالقدر على أربعة أركان:
- الركن الأول: أن تعلم أن الله عالم كل شيء.
- الركن الثاني: أن تعلم أن الله قد كتب كل شيء عنده في اللوح المحفوظ.
- الركن الثالث: أن تعلم أن لله مشيئة ومشيئته نافذة:
  - أن لله مشيئة و للعبد مشيئة، ومشيئة الله تعالى نافذة ولا يقع من مشيئة العبد إلا ما وافق مشيئة الله
  - ومشيئة الله هي الغالبة.
- الركن الرابع: أن الله خالق كل شيء فما يقع شيء في الكون إلا بإرادته، فالله خلق الخير وخلق الشر، ولذا قال ابن عباس : "هؤلاء مخذولون موكلون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة".



تعلق القلب بالأسباب ينافي الاستعانة:

- عدم انشراح صدر للصلة بين الأخذ بالأسباب والاعتقاد بأن الأشياء لها أسباب مادية، وهذا كثير عند الناس هذه الأيام، ولا سيما أن عصر المادة قد طغى، فالقلب لا يلجأ إلى مسبب الأسباب، وإنما القلب متجه دائماً إلى الأسباب، فكثرة اتجاه القلب للأسباب وعدم تعلقه بمسبب الأسباب هو سبب من أسباب عدم التوكل على الله، وهذا سبب من أسباب الضعف في الاستعانة.
- كل الخلق يعلمون أن الله مستحق للطاعة والعبادة، لكن بعض الناس في موضوع الاستعانة عنده ضعف، لأن العبادة عنده ضعيفة، لو أنك رتبت الأولويات وجعلت الرزق مقدماً على العبادات، فمثلاً يربط الساعة لعمله ولا يربطها لصلاة الفجر، الفجر تفوته، لكن وقت الوظيفة لا يفوته، هذا ما استعان بالله، هذا ربط قلبه بالأسباب المادية، وما يعلم المسكين أن القليل الذي بارك الله فيه خير من الكثير الذي تنزع منه البركة.



تعلق القلب بالأسباب ينافي الاستعانة:

- حقيقة الاعتماد في القلب إلى الأسباب قد توصل للشرك الأصغر، بل قد توصل للشرك الأكبر، من اعتمد على الأسباب فقد كفر، ومن تركها فقد جنّ، تارك الأخذ بالأسباب مجنون، والمعتمد عليها كافر، والمطلوب؟

- أن تأخذ بها وقلبك معلق بالله، قالوا: "أجسامهم في الحانوت، وقلوبهم معلقة بالله "، والجسد في الحانوت يأخذ بالأسباب يبيع ويشتري، والقلب معلق بالله.

- من ترك الأخذ بالأسباب مجنون، وما أحد يقبل هذا، لكن للأسف في العبادة يقبلون، يقال له صلي قال لما يهديني الله، أما في الرزق يأخذ بالأسباب، والله لو ذهب حتى يتوضأ وفتح الحنفية وما نزل ماء فعلا لم يهديك الله، ويكون فعلا كلامك صحيح، لكن الأسباب مهيئة لك، لو ذهبت لتتوضأ الماء سينزل، فلماذا في الرزق تقوم وفي العبادة لا تقوم، القلب أكلته الذنوب والقلب متعلق بالأسباب، وليس متعلق بالله.



كيفية الاستعانة بالله تعالى:

- "فإن قيل ما حقيقة الاستعانة عملاً؟ الطريقة العملية كيف استعين بالله؟ قال: "الاستعانة التي يعبر عنها بالتوكل" ما هو التوكل؟ التوكل له ركنان:
- الركن الأول: الاعتماد على الله فيما ينفعك تحصيلاً، الاعتماد على الله في تحصيل مصالح ودرء المفاسد.
- الركن الثاني: الاعتماد وحسن الثقة، وحسن الظن بالله أن الله سيفعل ذلك

- تعتمد أولا وتحسن الظن به ثانيا، فإن حصلت الاعتماد أولا، وحسنت الظن بربك ووثقت بأن الله سيحصل لك ذلك فأنت حينئذ متوكل على الله،.
- قال "وهي حالة للقلب" التوكل عبادة من العبادات لكن من أي أنواع العبادات؟ من العبادات القلبية، التوكل ليست عبادة بدنية، وليس التوكل عبادة قولية، التوكل عبادة قلبية، لينشرح صدرك بأن الله هو الذي يكفيك، وهو يغنيك وتثق به وتفزع إليه وتلجأ إليه.



كيفية الاستعانة بالله تعالى:

- الأمور تتضح بالمثال، فهناك مثال تقريبي ذكره المصنف في بيان التوكل، قال: "فتصير نسبة العبد إليه كنسبة الطفل إلى أبويه":

- الطفل وهو عاجز صغير لا يتحرك أو لا يتكلم ليست فيه قوة، هذا الطفل لا يستغني عن أبويه، فإذا خاف ينادي على أمه أو أبيه، وإذا أصابه ألم أو وجع نادى على أبويه.
- فهذا المثل التقريبي حال العبد مع ربه إذا خاف، إذا أصابه فزع، إذا فُجع بشيء، أصابه ألم، المتوكل يفزع إلى الله، هذا مثل تقريبي يبين لك أن التوكل هو أن تعلم أنك عاجز، وأن ربك الذي تعتمد عليه قادر، ليس فقط تعتمد عليه، الطفل يعتمد على أبويه، ويعلم أنه حريص به، يثق بأبيه، فالعبد مع الله هو يعتمد عليه ويثق به ، فالمؤمن يكون تعلقه بالله عند الشدائد أشد من تعلق الطفل بأبيه، وهذا معنى قول الله : {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}.

من له استعانة دون عبادة:

- "من له استعانة بلا عبادة، وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر، ما يحبه ويرضاه فتوكل عليه في حظوظه فأسعفه بها، وهذا لا عاقبة له سواء كانت أموالاً أو رياساتٍ، أو جاهاً عند الخلق، أو نحو ذلك، فذلك حظه من دنياه وآخرته".

- هذا القسم الرابع من له استعانة ولكن استعانته بلا عبادة، واستعانته هذه التي لا ينبني عليها عبادة، هي استعانة خالصة في الدنيا وحظوظها وشهواتها، دون الاستعانة بالله على الآخرة، القلب مليئ بالاستعانة بالله لكن على حظوظ الدنيا.

- قال: " وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدرِ، ما يحبه ويرضاه"، ما توجه إلى الله ، وهذا ينطبق عليه قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ} الله كريم، توجه إليه بعبادة قليلة فالله جل في علاه يفتح عليك ويحبب إليك عبادته.



من أسباب فقد اللذة في العبادة:

- كثير من الناس يسألون سؤالاً وهو سؤال مهم، ولا يعرف جوابه إلا العاقل يقول: عند إقبالي على الله وأول ما أعبد الله في بداية طاعتي لله أجد رقةً في قلبي، وأجد حسن حال، وأجد أُنس بالله، ولما ثبتُّ على العبادة ذهبت الرقة، ذهب الأُنس بالله، أصبحتُ لا أشعر به، ما هو السر؟:

- السر أن الله حبب إليك هذه العبادة لتثبت عليها، ولكنك أنت ما رعيتها حق رعايتها، ففقدتها، أصبحت العبادة بالنسبة إليك عادة، تقرأ الفاتحة، وتقرأ سورة وكل تكرر، وتركع تقول: "سبحان ربي العظيم" دون أن تنوع في الأذكار وتسجد، على نفس العبارات، فألِفتها، فإذا ألِفت العبادة يصبح الملل.
- لذا قال أهل العلم: " تنوع الأذكار له أثر على القلب، كتنوع الأطعمة على البدن"، لو أنك نوّعت وفعلت كما فعل النبي ﷺ لبقيت اللذة التي وجدتها في البداية معك إلى النهاية.